مجلة المنهل ـ المجلد: 08، العدد: 01 (2022 م) ـ ص ص 593 – 622
ISSN : 2437 – 1068 • EISSN 8392-2710

فيلون الإسكندري والأثر الفلسفي اليوناني على فكره الديني

Philo of Alexandria and the Greek philosophical impact on his religious thought

د. نصيره عماره (*)
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
necira.2017tk@gmail.com

د. محمد عماره
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
amaralazhar@gmail.com

تاريخ الاستلام:	تاريخ القبول:	تاريخ النشر:
2021/10/07	2021/12/19	2022/06/13

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص:

إن فيلون لاهوتي يهودي، وأفكاره التي طرحها كانت مزيجاً من أفكر فلسفية يونانية، وأفكار دينية من عمق التوراة، وكانت محاولاته قائمة على تلمّس نقاط الاتفاق بين الفكرين، باستعمال طرق الفلاسفة اليونان في تأويل بعض المصطلحات التي وردت في التوراة، والتي يظهر من خلالها تجسيم وتشبيه الذات الإلهية بالإنسان، فحاول صرفها عن المعنى الظاهري إلى المعنى الباطني، كما رأى أن الفكر الفلسفي ليس بعيداً عن الفكر الديني، فهما يسعيان للوصول إلى الحقيقة، فاليونان توصلوا إليها عن طريق التأمل المجرّد، أما مفكروا اليهود توصلوا إليها عن طريق الوحي الموسوي. لذا كان المنهج استقرائي والتحليلي هو الأصح للوصول إلى حقيقة أفكاره، ومنه فنتيجة البحث أن فيلون استطاع المزج بين الفكرين ليصل إلى نتيجة أن كلاهما ينشدان الحقيقة.

الكلمات المفتاحية:

فيلون؛ توراة؛ اليونان؛ الذات الإلهية؛ الوحي.

Abstract :

Philo is a Jewish theologian, and the ideas he put forward were a mixture of Greek philosophical thoughts and religious ideas from the depth of the Torah, His attempts were based on sensing the points of agreement between the two ideas, using the methods of the Greek philosophers in interpreting some of the terms mentioned in the Torah, through which the embodiment and analogy of the divine self with man appears, He tried to divert it from the apparent meaning to the inner meaning, He also saw that philosophical thought is not far from religious thought, as they seek to reach the truth, as Greece reached it through abstract meditation, while Jewish thinkers reached it through the Mosaic revelation. Therefore, the inductive and analytical method was the most correct to reach the truth of his ideas, and from it the result of the research that Philon was able to combine the two ideas to reach the conclusion that both of them seek the truth.

Keywords: Philo; Torah; Greeks; Divine Self; revelation.

(*) المؤلف المراسل.

1ـ مقدمة:

معلوم عند كل ذي معرفة بالمجهود الفكري عبر التاريخ أن أهل اليونان كان لهم السبق في تحليل الظواهر الطبيعية ومحاولة معرفة الخلفية التي انطلقت أو ظهرت منها، وتدوينها في كتب ومصنفات احتفظ بها الزمن عبر أطوار تاريخية مختلفة إلى يومنا هذا، وهو الرأي الذي يميل إليه معظم مؤرخي الفلسفة في العصر الحديث، وإن كان هذا الرأي لم يبق لوحده مستحوذاً على تلك المساحة الفكرية والنفسية عند مرؤخي الفكر الفلسفي والعلمي في هذا العصر.

ولم يكن البحث عن الحكمة ومعرفة الحقيقة متوقفاً على فلاسفة اليونان، بل وجد من غيرهم من هو محب لها وباحثاً عنها، وكان من هؤلاء مَن عاش بينهم وتأثر بالمناخ الثقافي، وتشرّب فلسفتهم، من خلال مطالعة مصنفاتهم، كـ"أريستوبولس"، و"فيلون الإسكندري".

وتظهر أهمية هذا البحث هو أنه يحاول تلمس الأثر اليوناني على الفكر الإنساني وتحديداً على الفكر اليهودي، ممثّلاً بـ"فيلون الإسكندري"، الذي حاول أن يبلور نظرية فلسفية دينية يهودية لها السبق عن النظرية الفلسفية اليونانية من جانب، وتتفق معها في جانب آخر، إلا أنها مستمدة من وحي الدين، لتظهر من جرائها العبقرية النبوية الموسوية، التي توصلت إلى مفاهيم ميتافيزيقية وفيزيقية قبل أن يصل إليها الإنسان أو الفيلسوف اليوناني، وبهذا يكون موسى النبي قد أحرز السبق في المعرفة الميتافيزيقية والفيزيقية، التى جال فيها الفيلسوف اليوناني طولاً وعرضاً. وكيفية تطبيقاته للوصول إلى المعارف والرموز الباطنية لكثير من الأسماء والقصص التوراتي التي تجافي الحقيقة أو لا يصل إليها الرجل البسيط.

وللوصول لتحقيق غاياتي من هذا البحث، أطرح الإشكال التالي، وهو ما مدى الأثر اليوناني على فكر فيلون الإسكندري في المسائل الدينية؟ وعن هذا الإشكال الرئيس تتفرع الإشكالات الجزئية أو الفرعية، وهي: هل وُفِّق فيلون الإسكندري في تطبيق النظريات الفلسفية اليونانية على بعض المسائل الدينية؟ وما الدافع الذي جعله يطبّق ذاك النمط التأويلي أو الآليات الفكرية اليونانية على بعض المسائل الدينية الواردة في أسفار موسى؟ وهو ما نريد البحث عنه ومعرفته من خلال هذه الصفحات.

وقد قسمت خطة البحث إلى ثلاثة عناصر رئيسية، فالعنصر الأول تناول فيلون الإسكندري، حيث تفرع عنه عنصران، وهما: الأول: التعريف بسيرته. والثاني: وهو ذكر مصنفاته المتعددة والمختلفة الأدبية والفلسفية والروحية والقصصية. أما العنصر الرئيسي الثاني، فهو: الأثر الفلسفي اليوناني على تفكير فيلون. وقد جزأته إلى ثلاثة أجزاء: وهما: الأول: بدايات التأمل الفلسفي لدى يهود الإسكندرية. والجزء الثاني: انعكاس الفلسفة اليونانية على التفسيرات الدينية لفيلون. وقد تفرع عن الجزء الثاني عدة عناصر فرعية، وهي: الأول: مخالفة الله للعالم. الفرع الثاني: صفات الواحد المتعالي. الفرع الثالث: وسطاء الله في الكون والمتمثلة في الوسيط الأول. والحكمة الإلهية. وإنسان الله. والملائكة. والروح. والقوات، وهي تتمثل في الجن سواء أكانت نارية أو هوائية. والجزء الثالث من العنصر الرئيسي الثاني معنون بصاحب التأويل الرمزي. وأخيراً العنصر الرئيسي الثالث، المتمثل في غاية فيلون من التفسيرات الباطنية، التي انتهجها في تفسيراته لبعض الإشارات في أسفار موسى الخمسة.

2ـ فيلون الإسكندري:

2ـ 1ـ سيرته:

يعد "فيلونPhilon" أعظم فيلسوف يهودي بين بني جنسه وديانته، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ ميلاده اختلافاً بيّناً، فمنهم من جعل ميلاده سنة15ق.م، وهو ما ذهب إليه مؤرخ الأديان "ميرسيا إلياد.ت1986م" وزميله "ليوان.ب. كوليانو.ت1991م" (Eliade & Couliano, 1997, p. 180) أمّا "آلان إينترمان"صاحب القاموس اليهودي حدد تاريخ ميلاده بسنة20ق.م (Unterman, 1997, p. 23)

كذلك اختلفوا في تاريخ وفاته، أما الكاتبين السابقين فقد اتفقا على تاريخ واحد لوفاته وهو50م، وإن كان الكاتب اليهودي الفرنسي"جِرارد إسرائيل" بيَّن أنه بين سنة 53م و54م (Israël, 1999, p. 123)

إذن فهو ولد وعاش في زمن سيطرة الإمبراطورية الرومانية على مصر332ق.م–40م، وقد أخذ بحظ وافر من الثقافة اليونانية، وكان اليهود في الإسكندرية أعظم شأنًا من بني جنسهم في بقاع الأرض، وكان في قومه من كفر بشريعة موسى بسبب تأثرهم بالسفسطائية اليونانية، وكان منهم من يدينون بدينهم ويأخذون بالتأويل المجازي في شريعتهم، وكانوا كثيري التأليف، وينشرون مؤلفاتهم باليونانية، ويبثون فيها معتقداتهم، ويعزونها إلى أسماء لها مكانتها من قدماء الشعراء والفلاسفة، و"فيلون" من هؤلاء المؤلفين،

وقد كان عظيم الشأن في قومه. ومما يذكر عنه في أواخر أيامه أنه ذهب في وفد إلى روما ليشكو ملكها "كاليجيولا" سوء معاملة الحاكم الروماني في مصر لأهل ملّته.

كما أنه نادرا ما يكتب بالعبرانية، فقد قرأ التوراة باليونانية وشرحها بلغة اليونان، ويريد بذلك أن يبين لليونان أن في التوراة فلسفة أقدم وأعظم من فلسفتهم. وهو يعترف لليونانيين بالعبقرية والابتكار (Unterman, 1997, p. 23)

إن "فيلون" لم يكن يبدي ولا يعلن في كتاباته عن وجود المسيح عيسى الناصري ولا عن حركته التبشيرية، أو الاضطرابات التي تسببها تعاليمه بين اليهود، وتحركات تلامذته (Unterman, 1997, p. 23)

وحسب "ويليام ديورانتWilliam.Durant.ت1981م" أيضاً فإن "فيلون" يكون قد عاصر المسيح عليه السلام، ويظهر أنه لم يره ولم يسمع عنه إطلاقاً، ويعتبره قد أسهم على غير علم منه في تكوين اللاهوت المسيحي (ديورانت، 1964، صفحة 105). ومنه فهو من أئمة الفلاسفة اليهود الإسكندريين.

2.2 ـ مصنفاته:

في بداية العصر المسيحي، كتب "فيلون" الفيلسوف واليهودي الهيليني، والأخلاقي والمفسِّر، عدّة كتابات في مجالات مختلفة، الأدبية والفلسفية والروحية والقصصية، في المدينة التي كانت في ذلك الوقت العاصمة الفكرية لعالم البحر الأبيض المتوسط، وهي الإسكندرية، وكتاباته هي عمل رائع يدل على ثراء الفكر وأصالة الأسلوب، ودليل أيضاً على وفرة الأنواع الأدبية وتنوعها.

إنه شاهد رائع في الوسط الهيليني، من اللاهوت اليهودي وروحانيته، وكذلك يمثل روعة الفكر الفلسفي لعالم البحر الأبيض المتوسط. نجد فيه أقدم أشعار على"Essenes"، وقد مارست كتاباته تأثيرًا كبيراً على مسيحيي الإسكندرية "كليمنت.ت99م"، أوريجينوس.ت185م".

لقد نشرت مجموعة "المصادر المسيحية" أولاً مقالة حول هجرة إبراهيم رقم47؛ حيث أثارت الاهتمام، وكانت تحت رعاية جامعة ليون، وهي عبارة عن سلسلة أعمال "فيلون" الخاصة بالإسكندرية، التي تقدم الترجمة الفرنسية الأولى لكتابات هذا المؤلف: أكثر من 2000 صفحة، وهي من الشظايا اليونانية واللاتينية وخاصة الأرمنية. وتم الانتهاء من هذه السلسلة أيضًا من قبلÉditions du Cerf؛ وكان لكل أطروحة(مقال) نص يوناني أو لاتيني، وترجمة، ومقدمة، وملاحظات. وهذه بعض المقالات والمصنفات،

هي: (إبراهيم، المكافآت والعقوبات. اللعنات، أسئلة وأجوبة عن سفر التكوين:1-2- 3-4-5-6. يوسف. تأويل القانون. خلق العالم. هجرة إبراهيم. الحياة التأملية. أحفاد قابيل. الملائكة. عمالقة. وهذا هو. تضحيات قابيل وهابيل. رحلة الاكتشاف. تغيير أسماء. أحلام. حياة موسى. قوانين خاصة). وغيرها من المقالات والمصنفات (sources chretiennes, 2019).

وقد ترجمت مصنفاته من اللاتينية أو اليونانية إلى كثير من لغات العالم، واللغة التي ترجمت عنها مصنفاته ليست هي اللغة التي كتب بها "فيلون"، فقد كان يكتب باللغة اليونانية. ومن بين اللغات التي ترجمت إليها رسائله اللغة الفرنسية بعد ذلك، وقد طبعت من طرف منشورات سيرف"cerf".

ونحن نشكّ أن يكون "فيلون" قد ألّف هذا العدد الكثير من المصنفات، حتى إن كثيراً من الفلاسفة قديماً وفي زمانه ومن بعده لم يصل في تأليفهم إلى هذا العدد، ونرجع هذا العدد إلى أن مترجمي رسائله إلى اللاتينية أو اليونانية قد جزؤوا العناوين الفرعية لبعض رسائله إلى رسائل صغيرة تتناول موضوعاً معيّناً، بعدما كانت تشتمل على موضوعات متعددة.

3ـ بدايات التأمل الفلسفي لدى يهود الإسكندرية:

يجمع كثير من الباحثين في تاريخ الفلسفة أنّ اليهود في عموم العالم بما فيهم الذين يقطنون الإسكندرية كانوا مهتمين بالحفاظ على الشريعة، ومحاولة إصلاح الكتب القانونية التي فيها اختلاف بين يهود فلسطين ويهود الإسكندرية، وفي نفس الوقت إظهار أنهم شعب مسالم ومتسامح مع اليونانيين والرومانيين، ويحاولوا زرع روح الاندماج مع الثقافة اليونانية الرومانية كي لا يلفظهم المجتمع، مع ذلك فقد كانوا حذرين أن تتأثّر أجيالهم بتلك الثقافة، فينتج عنه جيل أقرب إلى الوثنية منه إلى التوحيد الموسوي، لذا فقد انغلقوا على أنفسهم في إطار البحث الكتابي من أجل إثبات بعض القصص والأساطير التي وجدت في بعض الأسفار (Jullien, p. 29). ولم تكن لليهود فلسفة نابعة من ذاتهم وتأملاتهم في الطبيعة وما وراءها؛ لأنه شعب ركن إلى الانزواء على نفسه من هجمات الشعوب المعادية له، بسور من التعاليم الدينية التي تركها لهم أنبيائهم وكهنتهم. وهو ما يؤكده لنا "ويليام ديورانت" أن الآداب اليهودية التي وصلت إلينا من عصر ما قبل المسيح عليه السلام تكاد تكون كلها آداباً دينية؛ لأنه بدا لليهودي

المتمسك بتعاليم دينه أنّ من الخطأ الكتابة في الفلسفة، إلا إذا كان الغرض من هذه الكتابة أن يحمد الله ويمجد شريعته (ديورانت، 1964، صفحة 179)

حتى ولو بدت لنا أنّ هناك تأملات فلسفية ميتافيزيقية أو فيزيقية لكتّاب يهود فإنها لم تكن أمراً مستقلاً ونابعاً من ذهنية اليهودي، وإنما هي باحتكاكهم بالشعوب التي حلوا بها، إما بسبب النفي أو الهجرة. وهو ما يؤكده لنا المستشرق اليهودي "سليمان مونك Salomon Munk.ت 1867م" (Dugat, 1868, p. 192). أن فعالية الحضارة اليونانية في المجال الفلسفي هي التي ولّدت عند اليهود شيئاً فشيئاً ذوق التأملات الفلسفية الميتافيزيقية، وقد كان هذا الذوق ظاهراً خصوصاً عند يهود مصر، حيث جرت رعايته وتنميته، بأن قاموا بترجمة كتبهم المقدسة، وتقديم معتقداتهم وقوانينهم ومحافلهم الدينية، وكان الداعي إلى ذلك هو الارتقاء بديانتهم في نظر اليونانيين الذين كانوا يحتقرونهم ويعاملونهم بازدراء عميق، وليكسبوا تقدير واحترام الشعب الذي يعيشون في وسطه (Munk, 1988, p. 464)

ويعتبر "س. مونك" أن الترجمة اليونانية لأسفار موسى الخمسة، والمستندة إلى الترجمة السبعينية، والتي تعود إلى عهد البطليموسيين الأوائل، نكتشف فيها آثار الفلسفة اليونانية الشرقية، والتي كانت تتطور حينها بين يهود الإسكندرية (Munk, 1988, p. 464)

وفي ظل حكم الأسرة البطليموسية الفيلومتورية كانت الفلسفة متطورة، ويمكننا التعرف على ذلك من خلال بعض القطع المتبقية لنا من الفيلسوف "أريستوبولس Aristobuls"، كما يوجد أيضاً بعض الآثار الواضحة في كتاب(الحكمة) والذي هو من عهد غير محدد؛ لكنّه دون ريب من تأليف يهودي من الإسكندرية (Munk, 1988, p. 464)

لقد عرف يهود مصر هذه الفلسفة الانتقائية فقاموا بتهذيبها وتوفير فرص النجاح، بحيث أصبح ينظر إليهم أحياناً كمفكرين أصليين تماماً، لحد الذهاب إلى أن "فيثاغورس Pythagoras" و"أفلاطون Platon" و"أرسطو Aristotle" هم تلاميذ اليهود، كما أن الأساطير التي تناقلها مختلف المؤلفين اليهود عن العلاقات الكائنة بين كثير من الفلاسفة اليونانيين وحكماء اليهود والتي تعود إلى تاريخ قديم جداً، وقد قام بنشرها وإذاعتها كتّاب وثنيين ومسيحيين ومنها هذا المقطع لـ "كليارك Cléarque" تلميذ "أرسطو"، حيث قيل أنّ هذا الأخير تعرف في آسيا بيهودي وأنه تحاور معه في قضايا فلسفية، فاعترف أنه تعلم من هذا اليهودي

أكثر مما عَلّمَه. وحسب "نومينيوس دابامي" أن "أفلاطون" ما كان شيئا آخر عدا أنه "موسى" متحدثاً أتيكياً(أثينيا)، مما يدل على مدى تأثير يهود مصر من خلال الترجمة اليونانية لأسفار موسى الخمسة على بعض متفلسفة اليونان (Munk, 1988, p. 466)

4ـ انعكاس الفلسفة اليونانية على التفسيرات الدينية لفيلون:

إن الفلسفة اليونانية قديماً كان لها سحر كبير على عقول المثقفين أو المشتغلين بها أو المهوَسين بموضوعاتها ونظرياتها كالكهنة والشعراء وغيرهما، حيث سيطرت على كل فكر يبحث عن تفسير للطبيعة وما وراء الطبيعة، سواء من الجنس اليوناني أو هو من ثقافة تلك الحضارة اليونانية، أو الرومانية اليونانية من مجتمعات أخرى ذات ثقافات مغايرة، لكنها تشاركها حضاريا كاليهود مثلاً.

وكان "فيلون" هو أكثر اليهود تأثيراً في مجتمعه اليهودي الضيق، وتأثراً بالمناخ الفكري الفلسفي في مجتمعه الواسع الروماني بثقافته اليونانية، وعلى الرغم من ثقافته الدينية العميقة، ومركزه الديني والاجتماعي والسياسي إلا أنه تمكنت منه الثقافة اليونانية متمثلة في فلسفتها بمعظم مدارسها التي كانت شائعة في عهده وما قبله، وقد تأثّر ببعض نظريات تلك المدارس، وترجم ذلك التأثير الفلسفي في تفسيره لقضايا وردت في ثنايا كتابه المقدس، لذا لجأ إلى التفسير غير الحرفي ليتوافق مع الحاجة الفلسفية، فالمترجمون للكتاب المقدّس على الرغم من احترامهم الكبير للكتاب المقدس كانوا هم أنفسهم مُشبَعين بالأسلوب الفلسفي الذي ساد الوسط الثقافي اليهودي.

كان هذا هو الحال بصفة خاصة مع اليهود في الإسكندرية و"فيلون" واحد منهم، كانت هذه التفسيرات قبل كل شيء تستخدم عند مسألة الذات الإلهية، وذلك عند وصفها في الكتاب المقدّس لأفعال الله بطريقة لا تتوافق مع المفهوم المنطقي للفلسفة. ففي سفر التكوين يقال أن آدم وحواء اختبأ من الله وسأل آدم: "أين هو؟" فـ"فيلون" أعطى هذا المقطع منعطف رمزي، فعنده أن آدم ليس الرجل الأول، إنه الخاطئ الذي لم يسمع صوت أبيه، مما جعل "فيلون" يعطي هذا المقطع معنى، والصعوبة التي وجدها في نفسه، للنظر في الأمر بطريقة منطقية، فكيف يمكن الاعتراف بأن آدم وحواء تمكنا من الفرار من الله الذي يرى كل شيء، و"فيلون"رأى أن قصة آدم وحواء تظهر فيها إشكالات إن اعتقدها اليهودي أو فسرها رجال الدين

اليهود على ظاهرها، لذا أخذ على عاتقه بالتطبيق الحرفي لنظريات الفلاسفة اليونانيين وبعض مدارسها كمنهج يساعد على تحليل وتفسير الغموض والتناقض الذي يظهر في الكتاب المقدس (Jullien, p. 29)

وعلى الرغم من تأثره ببعض الأفكار الفلسفية اليونانية كما أشرنا، مثل: أخذه عن "هيرقليطس Héraclite" فلسفة اللوغوس، وذلك لتفسير انسجام الأضداد الموجود في العالم، ومن المُثل الأفلاطونية اكتسب الصورة اللامادية للوغوس ليستطيع أن يقوم بوظيفته كقوة عاقلة. ومن الفيثاغورسية أخذ فكرة وجود الوسطاء أو الأشياء السبعة في العالم، لكن استبدل الوسيط الآخير الذي هو النور بلوغوس. ومن الرواقية أخذ فكرة وجود نوعين من اللوغوس أحدهما لوغوس في عالم العقل أو الفكر، الذي يظهر في رجل حكيم بصورة دائمة، والثاني لوغوس المتلفظ به، الذي مصدره العقل الموجود في عالم المادة، وقد أعطاه عدّة أسماء، مثل الإنسان الإلهي، وآدم السماوي، وسفير الله. إذن فكرة "فيلون" عن لوغوس هو المبدأ الأول للعالم ومدبره، ولكن ليس خالقه وأقل من منزلة الله.

وعلى الرغم مما أخذه واكتسبه من الفلسفة اليونانية إلا أنه أظهر معارضته لبعض النظريات اليونانية حيث لم يستطع الاقتناع بها نظراً لتناقضها مع عقيدته اليهودية؛ ولأن العقل والمنطق يرفضانها تماماً، مثل قول الرواقيين أن العالم من الله، والله من العالم، وهو ما يعني القول بوحدة الوجود، وأيضاً قول "أرسطو"، أن الله تجرد عن عمل مخلوقاته فلا يدري أو لا علم له بما يفعلون.

4ـ1ـ مخالفة الله للعالم:

رفض "فيلون" أقوال الرواقيين التي تشبه القول بوحدة الوجود، فتجعل الله من العالم، والعالم من الله، كما أنه كان يرفض مذهب أرسطو، في تجريده الله عن العمل للمخلوقات، وزعمه أن كمال الله يقتضي هذا التجريد، فقال: «إنّ بعضهم ممن فاق إعجابه بالعالم إعجابهم بصانعه يقولون: إنّ العالم أبدي بغير بداية، وينسبون إلى الله نسبة خلت من التقوى والحق؛ إذ يجرّدونه من العمل وكان أحرى بهم أن يقفوا موقف الروعة أمام قدرته: قدرة الصانع والأب، ولا يتجاوزوا الحد في تعظيم العالم وتمجيده. وقد كان موسى الذي بلغ الذروة في الفلسفة واهتدى بوحي الله إلى أعمق أسرار الطبيعة يعلم أنّ الضرورة أوجبت أن يوجد في الكون سبب محرّك ومادة لا حراك بها، وأنّ السبب المحرّك هو العقل أو هو عقل الكون الطهور، الذي يعلو على الفضيلة والعلم، ويعلو على الخير نفسه، وعلى الجمال نفسه...أمّا المادة التي لا

حراك بها فليست لها روح حياة، ولا طاقة لها بالحركة من عند ذاتها؛ ولكنّها متى تحركت بالعقل واستمدت منه روح الحياة صارت إلى هذا الصنع المحكم العجيب، المتجلي لنا في هذا العالم، وإنّ أولئك الذين يحسبون العالم بلا بداية، لا يبصرون أنهم يقطعون بذلك الحسبان ألزم عنصر من مقومات الدين، وهو الإيمان بالعناية الإلهية؛ لأن العقل يُنبِئنا أنّ الأب الخالق يعنى بما خلق...» (العقاد، الصفحات 164-165).

والله عنده-"فيلون"-هو الموجود حقاً، وهو العلّة الأولى، أبو العالم وملكه ونفسه وروحه. ويسمي الله شمس الشمس، والشمس المعقولة للشمس المحسوسة، وهو بهذا يتابع "أفلاطون". ثم يأخذ عنه قوله: إنّ الله صنع العالم لمحض خيريته. ولم يكن الله عند "فيلون" صانعاً فقط وإنما خالقاً أيضاً؛ لأنه خلق العالم المعقول من القدم، فالأرواح خلو من المادة ولّدها الله كما يلد العقل أفكاره. أمّا العالم المحسوس فينتجه تنظيم الله لمادة سابقة أو نتيجة فعل وسطاء بين الله والمادة، وهو عين ما ذهب إليه "أفلاطون".

إن "فيلون" يرغب في إعطاء الله الأهمية التي تناسبه في النظم المنطقية. لهذا السبب أسس لثنائية الله والعالم المادي. الأول هو السبب وراء كل شيء، والآخر هو المادة الخاملة، المحدودة. فالله هو الروح المطلقة، لا يمكن تفسيره على الرغم من نشاطه. إنه موجود، لكننا لا نعرف ما هو عليه. "فيلون" مقتنع جداً بوجود الله لدرجة أنه لا يحاول إثباته؛ إنه يقتصر على رؤية مظهره في الوئام الذي يحكم الكون، وكذلك المعرفة التي يمكن أن تكون لدى الروح، لأنها قبل كل شيء فعل الله، المشكلة التي تشغل "فيلون" هي شرح علاقة الإله الكامل بالعالم المادي. وصل إلى أن هناك أسباب تساعد على حل الإشكال (Jullien, p. 33)

وتعليل "فيلون" لهذه التفرقة بأنّ الخلق صادر عن قدرة الله وعن خيريته، فلا يخلق من الله وحده إلا الموجود الكفيل بقبول هذه الخيرية. ويقول إنّ الله قال: «وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا» (سفر التكوين، الإصحاح الأول: 26)، بأنه خاطب وسطاء ووكل إليهم صنع الجزء الفاني من نفسنا على النحو الذي صنع هو الجزء النطقي، فالإنسان مزاج من الخير والشر، والله منزه عن الشر، فكان لا بد ممن يصنع مبدأ الشر في الإنسان من دون الله. غير أن فيلون يفترق عن الافلاطونية والغنوصية في أنه يجعل المخلوقات التي هي أدنى من الإنسان مصنوعات لله؛ لأنها ليست بذات أخلاق، والشّر هو الشّر الخلقي. ومن الوجهة الروحية علية الله مباشرة وغير مباشرة: بين الإنسان العاجز والإنسان العلي لا بد

أيضا من وسطاء؛ فإن النفس لا تستطيع الوصول إلى الله دفعة واحدة، فهي تتدرّج في صعودها إليه. وقد دعا فلاسفة اليونان هؤلاء الوسطاء آلهة وأبطالا، ودعاهم موسى النبي ملائكة أي رسلا. فكان أكثر توفيقا؛ إذ أنهم يبلغون أوامر الله إلى أبنائه، ويحملون صلوات وأدعية الأبناء إلى الله. (كرم، 1977، صفحة 250)

فالله عند "فيلون"هو مصدر جميع الخيرات، ولكن مع المركب الإنساني المكون من النفس والبدن، فالنفس دون البدن هي التي تستطيع أن تتقبل وأن تحوي جزئياً هذه النعم العظيمة، فهي وحدها التي يجب أن تشكر الله بصلاة شكر باستمرار، وصلاة الشكر هي مماثلة للنعمة نفسها. فالله إذن مبدأ العبادة وهدفاً في وقت واحد، وهو في نظر "فيلون" معنى العبادة الروحية (بريهييه، 1954، صفحة 267)

4_2_ صفات الواحد المتعالي:

إنّ "فيلون"يرى أنّ "أفلاطون" اعتبر العالم خلقه كائن–وهو إله بني إسرائيل الذي بشّر به موسى–، وهو إله خارج عن نطاق العالم، وفوق الجوهر وفوق الفكر، خارج الزمان والمكان، فهو أزلي بعيد، عظيم، مستقر، وثابت، وبسيط، غني عن العالمين، حرّ في التصرف في مخلوقاته، وعند "فيلون" كما عند "أفلاطون" الله هو الواحد الأعلى فوق البشر، فهو لا يقبل الكيف، ولا يحده العقل (Israël, 1999, p. 123)، أما العالم والإنسان متعددان ويتألفان من أجزاء، يخضعان لفئات الزمان والمكان، لكن الله غير مخلوق، ومستقل عن الزمان والمكان؛ لأنه فوقهم (Soulier, 1876, p. 13) وهو على كل شيء قدير، وإذا لم يكن يتصف بتلك الصفات فلم يكن إله؛ لأن الأصل في الإلوهية الفعل، والقدرة، والتأثير. وهو خالق هذا العالم ومصدر الخير فيه، لا نهاية لكماله ولا يمكن وصفه إلا بطريق السلب، وإذا كان لا بد من وصفه فكل ما يوصف به أنه موجود بلا كيف ولا صفة. وأنّ كل ما جاء في التوراة من تشبيه بالحوادث فيجب أن يؤوّل ويحمل على غير ظاهره (مرحبا، 1983، صفحة 224)

ويرى "فيلون" أن الله بدون صفات، والسبب الأول هو أنه أكثر من الحكمة، كما أنه أكثر من الخير، وأحسن من الجميل، فليس هناك مشابهة بينه وبين الإنسان مطلقاً، فهو مناقض للإنسان في كل شيء (Soulier, 1876, pp. 12-13), الله ذو طبيعة بسيطة، هو موجود في كل مكان (Soulier, 1876, p. 14)

4_3_ وسطاء الله في الكون:

ونظراً لعلو الله عن العالم ولعظم الهوّة بينهما؛ فإنّه لا يؤثر في العالم تأثيراً مباشراً، وإنما يخلق مجموعة من الوسطاء أو القوى الإلهية عبارة عن سفراء الله، والوسطاء هي "قوى الله" التي تشكل الرابط الذي يربط بين الله والعالم، إنه في بعض الأحيان يدعو الوسطاء بالملائكة، وهم مظهر من مظاهر طاقته الإبداعية، وهذه القوى عديدة، ولكن يبدو أن الاثنين الرئيسيين هما العدالة والشفقة مصدر كل هذه القوى في "الشعارات" أو في عالم الله.

و"فيلون" يشرح الشعارات بطرق مختلفة؛ فهي في بعض الأحيان مجموع القوى الفكرية للكون، وأحيانًا القانون الأخلاقي للعالم. على أي حال؛ فإن الشعارات ليست مستقلة أبدًا عن الله؛ بل على العكس، إنها المظاهر العليا (Jullien, p. 38). وهؤلاء الوسطاء يختلفون بعضهم عن بعض تبعاً للأعمال التي يقومون بها، وهم:

أ- الوسيط الأول وهو "اللوغوس Logos" يسميها اليهود ملائكة ويسميها اليونانيين شياطين ويسميها "أفلاطون" أفكاراً، ويقول "فيلون": إنّ بمقدورنا أن نتصور هذه الكائنات والوسائط في صورة أشخاص، وإن كانت في واقع الأمر لا وجود لها إلا في العقل الإلهي، بوصفها أفكار الله وقواه، لقد شارك (Logos) في خلق العالم، وأمرت بالفوضى أن تستمر فيه. تم إنشاء الإنسان على صورته وروحه هي واحدة من أشكاله؛ الجسد المادي هو مصدر الشر والعيوب في النفس، وهو ما يحيط بها ولا يتحرر إلا بالموت أو النشوة، وسائل مواجهة المادة هي التماس الزهد، وبهذه الطريقة يقترب "فيلون"من الرواقين (Jullien, p. 38). وهي مجتمعة تكوّن ما يسميه الرواقيون الكلمة أو العقل الإلهي خالق العالم وهاديه. وكان "فيلون"يتأرجح بين الفلسفة واللاهوت، والتجسيد، ولهذا كان يفكر في العقل الإلهي مرة كأنّه شخص وفي ساعة من ساعات نشوته الشعرية يسميه أول ما ولد الله. ويقول: إنّه عن طريق الكلمة كشف الله عن نفسه للإنسان (ديورانت، 1964، صفحة 104) وابن الله نموذج العالم وهو أشبه بمُثل "أفلاطون"؛ إذ هو النموذج الذي يخلق الله به هذا العالم على صورته ومثاله. فيصفه "فيلون" بكل صفات الكمال. ويرفض "فيلون"رأي الذين يقولون أنّ الله لا يستجيب للصلاة؛ لأنّ الصلاة أصل من أصول العلاقة بين الإنسان والله. وعنده أنّ الله يستجيب دعاء الكلمة أو اللوغوس لهذه الموجودات الأرضية، وأنّ "موسى" النبي هو اللوغوس الذي استجاب الله دعاءه في سيناء، وهو الذي خلص من شوائب المادة فلحق بالطبيعة الإلهية، وقال: «إنّ الله أحد. ولكنّه بقدرته خيّر وحاكم. فبالخير صنع العالم. وبالحكم يديره. وثمة شيء ثالث يجمع بين القدرتين

وهو اللوغوس أو الكلمة؛ لأنّ الله–بالكلمة–يجود ويحكم...والكلمة كانت في عقل الله قبل جميع الأشياء، وهي متجلية في جميع الأشياء» (العقاد، الصفحات 164–165)

وقد أطال الباحثون النظر كثيراً في أقواله عن اللوغوس، ومن المحتمل تأثيره في القديس "يوحنا الإنجيلي". فهو يرى اللوغوس تارة الوسيط الذي به خلق الله العالم، والذي به نعرف الله، فيشفع لنا عنده. وهو تارة ملاك الله الذي ظهر للآباء وأعلن إليهم أوامره على ما تذكر التوراة، وهو مرة قانون العالم وقدره على ما ذهب إليه "هراقليطس" والرواقيين، ومرة أخرى ابن الله البكر، وتارة مثال الإنسان أو الإنسان الأعلى، ومن هذا فإنّه لا يوجد عند "فيلون" قول بالثالوث ولا قريباً منه، إلى غيرها من الصور والتعبيرات. ويسمي الكلمة في بعض المواضع إلها، ومردّ ذلك حسب"يوسف كرم ت1959م" هو تماهياً مع الكتاب المقدس، دون أن يعلم كل مدلول التسمية؛ بل إنّه يجتهد في تخفيف مدلولها، فيقول: «يمكن تسميته بإلهنا نحن الناقصين» وبـ«إله ثانوي» وهو بهذا يطلق تسميات على موجودات هي عنده أقل استحقاقاً لها من اللوغوس. كالعالم والكواكب، مثلما يفعل فلاسفة اليونان، فاللوغوس وسيط الله والعالم ليس غير مولود كالله، ولا مولود كالبشر، غير أننا لا نتبيّن حقيقة وطبيعة هذا التوسط. وهذه النظرية–نظرية الكلمة–برمتها تتضمن تناقضاً، فإذا كانت المسافة بين الله والخليقة غير متناهية فأي وسيط يستطيع الوصل بينهما، إذا كان إلها كان هو أيضا فوق متناول الخليقة، وإذا كان مخلوقاً كان الله فوق متناوله. وبهذا يكون فهم العقيدة المسيحية في الكلمة على طريقة "فيلون" تتعارض مع المسيحية (كرم، 1977، الصفحات 250–251)

وقد اعتبر "برتراند رسل.ت1970م" بأن المفهوم الرئيسي الذي يسري على الفلسفة اليونانية هو مفهوم "اللوغوس" وهو لفظ يدل على عدة معاني كثيرة منها: الكلام، والنسبة، أو القياس (رسل، 2009، صفحة 33)

ب– الحكمة الإلهية أو سوفيا: والتي يتحد بها الله، لينتج عن اتحاده بها هذا العالم. وعادة ما يطلق عليها "فيلون" اسم «أم العالم» ويصفها أحيانا بـ«روح الله» (مرحبا، 1983، صفحة 221)

ج– إنسان الله أو آدم الأول في التصوّر اليهودي من خلال نصوص الكتاب المقدس عند اليهود–العهد القديم– قصص مختلفة عنه، حيث يرد في سفر التكوين((وَقَالَ اللهُ نَعْمَلْ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا.فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ.عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ.ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ))(سفر التكوين:الإصحاح

الأول:26-27). وأيضاً((وَجَبَلَ الرَّبُّ الْإِلَهُ آدَمَ تُراباً مِنَ الْأَرْضِ. وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً))(سفر التكوين:الإصحاح الثاني:07). وهذا الاختلاف كان مدعاة لـ"فيلون" أن يجتمع في ذهنه تفسيران لهذا الإنسان، بسبب تلك الرؤى المختلفة في سفر التكوين عن الإنسان الأول، فقد فرّق بين الإنسان صورة الله، والإنسان المصنوع من الطين. حيث يكوّن الأول الإنسان الذي هو رجل الله أو الإنسان الإلهي المطابق للوغوس، والثاني هو جزء من مركّب إنساني، بمعنى أنه العقل.

وهنا نجد "إميل بريهييه Émile Bréhier.ت1952م" يعرض لنا كيف أن "فيلون" يرجع مرتين إلى تأويل الفقرتين اللتين وردتا في سفر التكوين عن خلق الإنسان، حيث يؤولهما في رسالتيه: الأولى:(عرض الشريعة أو القانون الإلهي l'Exposition de la loi). وفي الثانية: (التفسير التأويلي le commentaire allégorique). وهو في كل مرّة يعطي أفكاراً مختلفة عن الإنسان الإلهي أو رجل الله.

ففي الرسالة الأولى يؤوّل الإنسان صورة الله على أنه عقل إنساني يقود النفس وهو ما يعني أن الإنسان عالم مصغّر، ولا يوجد شيء أشبه بالله في العالم من العقل في المركّب الإنساني، ومنه فالإنسان الإلهي هو كإله داخلي في الإنسان يتأمل الأمور المعقولة. وهذه إحدى تأويلاته للإنسان الإلهي.

وفي نفس الرسالة نجد "فيلون"-حسب "بريهييه"- وهو يتابع قصة الخلق نراه يقابل الفقرة الثانية عن الإنسان المصنوع من الطين، وهذا الإنسان مختلف تماماً عن الإنسان الذي هو صورة الله أو الإنسان الإلهي، حيث يعطي له صفات مميّزة عن رجل الله أو صورة الله بأنه حسّاس، وهو مركّب من جسم وروح، هو ذكر أو أنثى، وأنه فان. أما إنسان صورة الله أو رجل الله هو فكرة أو نوع أو طابع معقول، غير مجسّم، كما أنه ليس ذكراً أو أنثى، ولا يفنى. وهذه هي الفكرة الثانية عن الرجل الإلهي أو صورة الله. إذن هنا هو فكرة، وهو نموذج للإنساني الأرضي (بريهييه، 1954، صفحة 169)

واعتبر "بريهييه" أن الفكرة الثانية لتأويل الإنسان هي فكرة الرسالة الثانية وهي(التفسير التأويلي le commentaire allégorique) حيث وضع الإنسان المثال في موضعه إزاء الوسطاء الآخرين، فاللوغوس صورة الله، كما أن الإنسان المثال صورة اللوغوس، غير أن طبيعة تعارضه مع الإنسان المصنوع من طين-آدم- دائماً في تغيّر مستمر. والإنسان المثال هو العقل الغير المادي، فهو مطبوع ومختوم بالنفثة الإلهية، أما الإنسان المصنوع فهو العقل المتوسط، الذي له القدرة على الاختيار بين الخير والشرّ،

وبسبب اختياره يصل إلى الخلود أو الفناء. وبهذا الاختلاف والتعارض فإن الإنسان المثال لا يمكن أن يكون هو رئيس الإنسان المصنوع، كما لا يمكنه أن يكون محتوى في جسمه، فهو مستقل تماماً عن الجسم ولا يمكن بأي حال أن يكون من ضمن مركباته. وبهذا الوصف الذي أعطاه "فيلون" للإنسان المثال أو الإلهي فهو يجمع كل صفات الكمال التي لا تنال بالمجهود والكسب، كما هو في الحالة الإنسانية الأرضية (بريهييه، 1954، صفحة 171)

وصفات هذا الإنسان الإلهي تختلف عن الإنسان المثال الأفلاطوني المنفصل عن النفس منذ الأزل، فهو يصير ذا قابلية للامتزاج بعقلنا، ويتحول من فكرة على مثال عملي مشخّص، والتقدم عادة ما يتم بالاختصار أو الإجمال وذلك بالتقريب بين الفكرة أو المثال، الذي يعتبر نموذج طبيعي أزلي، وبين الحكيم الذي هو مخلوق حقيقي ومشخّص، والذي يسعى الإنسان لاتباعه وللاقتداء به في مثله العليا (بريهييه، 1954، صفحة 172)

يرى أحد الباحثين وهو "بوسيهBousset" أنه ليس لنا أن نخلط بين أسطورة الإنسان الأرضي الذي خلق من طين والتي وردت في سفر التكوين، وأسطورة الإنسان المثال أو رجل الله أو صورته، فالثانية ترجع إلى تأثيرات يهودية خالصة، بدليل أننا نرى لها تأثيرات أخرى في سفر حزقيال وغيره، وهو يعتقد أن أسطورة الإنسان الإلهي أو رجل الله خرجت من تركّيب أسطورة الإنسان المصنوع وفكرة الإنسان المثال.

وإذا كان الإنسان الإلهي في رسالة عرض الشريعة أو القانون الإلهي (l'Exposition de la loi) هو فقط عقل الإنسان المؤلف من الجسم والروح؛ فإنه في رسالة (التفسير التأويليle commentaire allégorique) الحكيم الكامل المثال، الذي ليس فقط غير متصل بالمادة، لكنه أيضاً مختلف تماماً عن الإنسان الأرضي. وفي مقابل هذا نجد آدم كما جاء في رسالة (التفسير التأويلي) تختلف عن آدم في رسالة (عرض الشريعة أو القانون الإلهي) حيث صار العقل الأرضي الذي أصبح في علاقة مع المادة حتى وإن كانت له أثرة من النفثة الإلهية، فهو غير مهيأ بسبب طبيعته للخير أو الشرّ، وهو ما يظهر أنه سلّم للإنسان المثال بكل أنواع العلو التي قد بيّنها في رسالة (عرض الشريعة أو القانون الإلهي).

وهنا يضع "بريهييه" تساؤلاً ما الذي دفع "فيلون" على أن يغيّر وجهة النظر اليهودية عن قصة الخلق التي وردت في سفر التكوين؟ من المعروف عند"بريهييه" أن الأسطورة اليهودية عن آدم الأرضي والكامل

لا تتفق إلا قليلاً مع المذهب الأخلاقي المقبول عند "فيلون"، هذا المذهب الذي يجعل من الجسد أساس كل أنواع المأسي والنقص والرذائل. وهو ما يراه إميل بريهييه سبب وجيه في رفض فيلون لتلك الأسطورة اليهودية، حيث يضيف للإنسان كل ما لآدم من أنواع الكمال، وعنده أيضاً ما تؤكده نصوص تساؤلات حول الخلق أو التكوين (questions sur la genèse) حيث يكون الإنسان السماوي متوحّداً، كما في رسالة الخلق. غير أن الاتصال الذي له بالمادة جعل منه كائناً غير كامل، باعتبار الأرض مكاناً للشقاء. من هذا نرى "فيلون" وقد ترك للإنسان المثال كل كماله المميّز في رسالة (التفسير التأويلي le commentaire allégorique) العقل السماوي عن العقل الأرضي.

غير أن قصة نوح رمز الرجل العادل، ترينا أن العقل السماوي متوحّد أو مطابق للعقل الأرضي، وهو بنفس العمل والإنسان الأول الكامل. والمعروف–حسب "بريهييه"–أن النصوص اليهودية تعتبر أن السلالات التي ابتدأت من نوح هي نوع من خلق جديد للإنسانية–باعتبار أن الطوفان الذي حدث في زمن نوح أغرق كل الخلق ماعدا نوح– وفي النصوص اليهودية يعتبر نوح نوع من شكل جديد أو من تكرار للإنسان الأول، وهذا التأويل كان معروفاً في زمن "فيلون". ومع ذلك فإن هذا التأويل كان يرفضه "فيلون"، وكان يقص في كتابه (مسائل حول الخلقquestions sur la genèse) قصّة ما بعد الطوفان، حيث يعتبر نوح تلك الأشياء الأرضية، وصار مساوياً للشرف لا للإنسان الأرضي، ولكن للإنسان السماوي الذي هو على صورة الله (بريهييه، 1954، صفحة 172)

فالإنسان الأول المصنوع من الطين هو ملك الطبيعة، كما جاء في الكتاب الأول للمسائل، كما نجده يختلط بالإنسان السماوي. وفضلاً عن هذا فهو في رسالة المسائل نرى الإنسان الأول المصنوع من الطين هو الذي يزرع الجنة ويحفظها، خلافاً لذاك فهذا العمل نسب في رسالة (التفسير التأويلي le commentaire allégorique) إلى الإنسان السماوي.

هذا التركيب والمزج بين الإنسان الأرضي الأول والذي دعي بأبي البشر والإنسان السماوي الذي ميّزه "فيلون" عن الإنسان الأرضي هل يختص فقط بـ"فيلون" وهو من نسيجه وخياله لوحده أم هو من الأساطير الهيلينية؟ هذا ما رآه أحد المستشرقين وهو"رايتزنستا Reitzenstein" الذي عثر على نص لأسطورة الإنسان الإلهي فيه مزيج من عناصر مختلفة، حاول فيها المؤول أن يميّز ما فيها من عناصر هيلينية، وما فيها

من صور يهودية للأسطورة اليهودية المرتبطة باسم آدم. غير أن "بريهييه" يرى استحالة التمييز بين الحقيقة وما أضيف إلى هذه الأسطورة من تصورات على أساس الرغبات المختلفة. والتلفيق الغريب الذي يظهر من خلال النصوص التي عثر عليها المستشرق"رايتزنستا" بين الإنسان الإلهي وأزيريس وهرمس وآدم وأوأنّيس ليس بالضرورة أن يكون سابقاً عن عصر "فيلون"، زيادة على ذلك فإن النظرية اليهودية عن آدم اثنين التي تميّز آدم داخلي مساوي للإنسان وآدم أرضي تفترض مزج الآدم الكامل الذي جاء في القصة بالإنسان السماوي (بريهييه، 1954، الصفحات 173-174)

كما يظهر من بين عناصر القصة أو الأسطورة عنصراً أدخل في القدم، وهو خنوثة الإنسان السماوي، وأيضاً في قصة آدم التلمودي.

والإنسان هو أيضاً أزريس وهرمس. مما جعل المستشرق"رايتزنستا"يربط هذا الطابع من الأساطير بالتصورات المصرية لهذين الإلهين.

ومع هذا يرى "بريهييه" أن فكرة الإنسان السماوي أو الإلهي أو المثال عند "فيلون" يمكن أن تكون مستقلة عن الأصل المصري، لذا فلا يمكن أن نربط بينهما، كما حاول بعض المؤولين ربطها بنظرية التعاقب في المأدبة الإلهية لـ"أفلاطون"؛ لأن "فيلون" في أحد رسائله يسخر من تلك النظرية، ومنه فلا توجد حاجة للأصل المصري (بريهييه، 1954، صفحة 174).

إن "فيلون" استند حقاً كما في التلمود إلى النص التوراتي الذي يقول:((اللهُ خَلَقَكُمْ ذَكَراً وَأُنْثَى))، فضلاً عن ذلك كيف رأينا من قبل أن هذا النفي:((لَيْسَ ذَكَراً وَلَا أُنْثَى)) لا يستقيم معناه إلا بإلحاقه باللوغوس القاسم. ويرى بريهييه أن النظرية المصرية عن الإنسان الخنثى لها معنى كوني؛ لأن الإنسان الإلهي يصير إلهاً منتجاً للعالم، وهو ما ينفيه "فيلون" مطلقاً، فقد يكون هذا التقريب بين التصور الفيلوني للإنسان الإلهي والأسطورة المصرية حدث في زمن متأخر، لكن ليس هناك ما يشير إلى أنه حدث في عصر "فيلون" (بريهييه، 1954، صفحة 175)

د- الملائكة والجن: بما أن "فيلون" رجل دين فإنه يؤمن بوجود الملائكة، وهي مخلوقات أو قوى عقلية، تتميز بخفّتها وسرعة حركتها، كما أنها جزء من مخلوقات في الهواء، الذي هو مقرّ النفوس الغير الفانية أو الغير الفاسدة فلا تخضع للفساد، ورأى أن الخالق من كماله وجماله أن ملأ الكون كله بكائنات

أو مخلوقات، حيث خصّ الأرض بالحيوانات الأرضية، والبحار والأنهار بالحيوانات المائية، والسماء بالكواكب والنجوم، والهواء وهو الجزء المتبقى من الكون خصّه بحيوانات تعزّ عن الرؤية كالأرواح والنفوس، والملائكة هي جزء من هذه النفوس التي لا تدرك، وهي أكثر طهراً ونقاء من غيرها، نظراً لقربها من الذات الإلهية، لذا فليس عندها رغبة في ما تشتهيه الأجسام أو النفوس الفانية، وهي تقوم مقام الإله بالسمع والطاعة لتنفيذ رغبة العلي القدير، فهي تلاحظ وتسمع كل شيء، هذه النفوس التي يسميها الفلاسفة ديمون démons ويسميها الكتاب المقدس ملائكة، وهي موكّلة بتبليغ أوامر الله إلى الإنسان وحاجة المخلوقات ورغباتها إلى الله، وهي دائماً في صعود ونزول، وليس أن الله الذي أحاط بكل شيء علماً وقدرة في حاجة إليها، وإنما المخلوقات الأرضية هي في حاجة، ولا يمكن الوصول إليه إلا بوجود وسطاء ولوغوسات. فهي حسب فيلون عبارة عن كائنات هوائية من هذا الكون العجيب التكوين والترتيب (بريهييه، 1954، صفحة 175)

ويرى "بريهييه" أن "فيلون" أفاد كثيراً من علم الكون أو الهيئة، الذي يقسم أجناس الحيوانات تبعاً لمبادئ الكون الخمسة، وهي: تراب، نار، إثير، هواء، ماء. وطبيعياً في التفكير الفلسفي أن تكون الملائكة هي من الكائنات الهوائية الشفّافة الغير المرئية، ويرى بريهييه أن الحجّة الرواقية بصفة أصلية التي تقوم على توحّد الروح مع النفثة، وذلك للتدليل على أن الهواء لا يمكن أن يكون خالياً من الأرواح، فقد كانت غائبة بطبيعة الحال، وهو ما يبيّن أن المصدر الأفلاطوني في تكوين هذا العالم بالكائنات إنما هي نظرة قد تكونت بواسطة أحد الرواقيين (بريهييه، 1954، صفحة 178)

ومحاورة "أفلاطون" لفيدر واستطراده في تصنيفه الأرواح أو النفوس، يلخّص لنا كيف يميز بين الأرواح رفقاء الآلهة التي بقيت طوال عهود دون أن تتصل بالجسد وهي تماثل أو تنطبق على الملائكة، وأرواح فلسفية بعد ثلاثة آلاف عام تترك الجسد نهائياً، والأرواح الأخرى التي تعود للجسد من جديد (النشار و الشربيني ، 1972، الصفحات 159-162)

فالملائكة في التصوّر الفيلوني هي جنساً هوائياً له المرتبة أو الدرجة الثالثة، مرتبة الوسط (بين الإله والكائنات الأرضية)، تتميّز بعقل باهر وعجيب، وعلم واسع ودقيق وذاكرة قوية جداً، تحب الكائنات الإنسانية الخيّرة والطيّبة، كما تكره الإنسان الشرير والمؤذي، وهي في تواصل مع الإله، عن طريق اندفاعتها الخفيفة المستمرة من الأرض إلى السماء (بريهييه، 1954، صفحة 178)

وقد توصّل "بريهييه" إلى أن علم الملائكة الذي توسّع فيه "فيلون" في مؤلفاته ما هو إلا أفلاطوني في أصله مع تأثير رواقي قليل، وهي نظرة فيلونية أفلاطونية أكثر تجريداً ورمزية من علم الملائكة الخرافي الذي وجد عند "فلوطرخس Plotarchus"، الذي انتقده فيه "فيلون" قائلاً:«هذه الأرواح أو النفوس ليست مزيجاً من العقل وعدم العقلية، ولكن هذا العنصر اللاعقلي اقتطع منها، إنها معقولة في أجزائها كلها» (بريهييه، 1954، صفحة 179) وهي ذوات هوائية وأرواح دون أجسام. عكس "فلوطرخس" الذي يرى أن الملائكة ليست بينها وبين الناس أو الكائنات الإنسانية فروقاً إلا في الفضائل، فالجزء المنفصل أو الغير العقلي ليس لدى البعض منها إلا بقيّة ضعيفة ومظلمة، فهو أمر بسيط وسطحي، على حين أن ذاك الجزء لدى البعض الآخر له قدره ويصعب إماتته، كما أن هناك فروق أخرى عند "فلوطرخس" وعلى خلاف "فيلون"، نرى الملائكة تحسّ اللذّة والألم.

ويرى"بريهييه" أنه على الرغم من هذه الفروق بين "فيلون" و"فلوطرخس"؛ فإن الملائكة تفسّر الأساطير عند "فلوطرخس"، كما الشأن عند "فيلون" حيث يبقى علم الملائكة مرتبطاً ارتباطاً بعلم الأساطير، وهو ما يؤكده النص التالي لـ"فيلون"«إنهم يتناشدون هذه القصة القديمة، وهي أن الإلهي الذي يتخيله الأناس بصور مختلفة في أمكنة مختلفة، طاف بالمدن، فاحِصاً ضروب الظلم وعدم المساواة؛ إن هذا ربما لا يكون حقاً، ولكنه مفيداً» (بريهييه، 1954، صفحة 180) ومنه يتبيّن لنا أن نظرية الديمون ليست هي كل الأساطير الإغريقية التي دخلت في فلسفة "فيلون" مع وجهة نظر التجسيد النافع المفيد.

كما أن الملك أو الجن هو صورة الله أيضاً، غير أن هذا في رأي الذين يعتقدون أن هناك إلهاً واحداً، وهذا التعبير ما هو إلا صيغة اشتراك استعارية صحيحة ليس إلا. والسبب في ذلك أن الروح الإنسانية نظراً لدونيتها ما كانت تتقبل كثرة نعم الله وآلائه لو لم تتصل بوسطاء بينها وبينه، وهذا بسبب عجزها عن الصعود إليه–الله– مباشرة لمعرفته، فيكون الملك هنا كاللوغوس كائن أدنى من الله. ومنه فهما يشتركان في نفس الوظيفة، حيث كلاهما وكِّلا بوظيفة عقاب الشرير، غير أن الملك له وظيفة أكثر من اللوغوس وهي إعطاء الإنسان الخير الأدنى مرتبة، وهو عدم الشرّ.

ومن وظائف الجن والملائكة أنها تحمل إلى الآلهة صلوات الناس وقرابينهم، كما أنها تحمل إلى الناس أوامر الآلهة وجزاءهم على ما يقدمونه من قرابين لتلك الآلهة، لذا فهم يملؤون الفراغ بين العالم أو

الكون الإلهي والكون الإنساني، وبهذه الوظيفة يعطون للعالم الوحدة والارتباط بين العالمين، فالجن أو الملائكة يمدون الإنسان بمعارف بفضلها يصبح رجلاً عبقرياً، وعلى العكس من ذلك ينقص الوحي أو الإلهام الملائكي أو الجني العبقري كل معرفة أخرى، وعدم حيازة الرجل للوحي والإلهام يكون صانعاً عادياً (النشار و الشربيني، 1970، الصفحات 142-143)

وهنا يذكر "بريهييه" أن"فلوطرخس" له نظرية عن الديمون لها ارتباط بنفس نظرية الملك، حيث يذكر عنه «إن كثيراً يجعلون من الإله سبب كل الأشياء جميعاً، ولكن يقوم دون ذلك أسباب» (بريهييه، 1954، صفحة 181) ويرى "بريهييه" أن"فلوطرخس" لم يشر إليها، لكن قد ترجع إلى مشكلة الشرّ. ثم يضيف «إن أفلاطون حلّ هذه الصعوبات بنظرية المادة» (بريهييه، 1954، صفحة 181) و"بريهييه" يذكر أن الذين اخترعوا جنس الملائكة ووضعوها بين الآلهة والناس يظهر أنهم حلوا بها صعوبات كثيرة وخطيرة، فهذا الجنس من الجن أو الملائكة قد ربطنا بالآلهة (بريهييه، 1954، صفحة 181)

والملائكة بما لها من مميزات كثيرة تختلف عن الكائن الحي في عدم شبهيتها له، إلا أنها تتشكل بأشكال إنسانية تبعاً للحاجة الموكلة لها من الإله، وعلى الرغم من ذلك فهو لا يشبه في حقيقته أي صورة أو شكل، ويتألّق بنور أبهى من نور النار، وهو الذي ظهر لموسى في العليقة المتقدة المتوهّجة.

وهنا يذكر "بريهييه" أن "فيلون" يصف ضجّة الهواء الغير المشاهدة، هي ضجّة لم تكن بلا روح، كما أنها ليست مكوّنة من جسد وروح كالكائن الحي، غير أنها روح عقلية مفعمة بالضوء والنور، كان منها صوت قوي يشبه نفخة من صور. وهذا يبيّن لنا أن الملك حسب التصوّر الفيلوني هو عبارة عن صوت أو آية من الله. فهو يتنبأ بمستقبل الإنسان، كما له دوره الخاص في معرفة المستقبل بواسطة الرؤى، ومن وظائفه أيضاً أنه يدل الروح الضالة والحائرة ليعرّفها من يجب عبادته (بريهييه، 1954، صفحة 181)

والملائكة هم مثل غيرهم من الكائنات تؤدي العبادة لخالقها لكنها عبادة داخلية روحية، باعتبار أنها قوى عقلية غير مجسّمة، وهي تقبل أن يكون فيما بينها العقول الأرضية التي وصلت إلى درجة الكمال كحالة موسى-عند "فيلون"-حيث تخلّصت من العنصر الفاني، وفكرة العبادة الداخلية أو الروحية التي تقوم بها الملائكة-حسب بريهييه-لا توجد في أي مؤلف آخر هلينستيني عرف عن الديمون، ويتسائل "بريهييه" هل نجعل هذا الأمر سبباً في أن "فيلون" كان متأثّراً بمؤثّرات يهودية خالصة؟ فالملك هو

الكاهن، وخاصة الرئيس، فهو لا يكون شيئاً آخر غير ميكائيل لدى اليهود الفلسطينيين (بريهييه، 1954، صفحة 183)

و- الروح: عند بعض المدارس الفلسفية الهيلينستية كالرواقية هي المبدأ الفاعل الذي بتوتره يربط مجموع أجزاء الشيء أو الموضوع الواحد، بحيث يجعل بينها وحدة. وهذا التعريف للروح أو المبدأ تارة يكون هو الهواء، وتارة أخرى يكون الهواء والنار. و"فيلون" يأخذ بالتفسير الأول-حسب برهييه-فالهواء هو مبدأ العالم والحياة، ويعطي تفسيراً لذلك الاتحاد والتماسك بأنه نفثة ترجع أو تعود على نفسها، لذا بحسب ذاك المعنى يذهب إلى تفسير المقطع من سفر التكوين «وَروحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ» (سفر التكوين: الإصحاح الأول: 02). بأن الماء ليس له من الحياة إلا بوجود الهواء المختلط به.

ويرى "بريهييه" أن نظرية الروح لدى الرواقيين كانت ترتبط بنظرية الأفكار أو المعارف المشتركة، فتوتر الروح بين أعضاء الجسم ينتج عنه المعرفة الحسيّة، كذلك المعارف العقلية ترجع إلى عمل من أعمال الروح أو توترها، ومنه نعزو-كما يعتقد "بريهييه"-بلا ريب إلى التأثير الرواقي ما قدمه "فيلون" من تفسير لأصل المعارف المشتركة بالروح أو النفثة الإلهية: فكرة الخير وفكرة الإله.

غير أن نظرية الروح لدى الرواقيين لا تتوقف على معنى واحد لدى "فيلون"، لذا نراه يعطي معان جديدة لنظرية الرواقيين، وذلك بالتمييز بين الروح والروح العقلية؛ أولاً: أن الروح مشتركة بين الإنسان والحيوانات، ومادتها الدم. والثانية: مادتها النفثة، والنفثة نفسها ليست من الهواء المتحرك، ولكنها الخاتم والطابع من القوّة الإلهية، والتي يسميها موسى باسمها الخاص صورة، والنفثة صدرت على نحو ما روحية ثم رجعت إلى أصلها الإلهي. وهناك معنى آخر: وهو التحول من نظرية الأفكار أو المعارف المشتركة إلى نظرية الإلهام، والنفثة أو الروح الإلهية لا تكون حسب هذه الفكرة الثانية الجوهر الخاص للروح؛ بل إنها لا تخص إلا الله (بريهييه، 1954، صفحة 186). والروح لا يمكنها أن ترتفع وتسمو إلى فكرة الكائن الإلهي، وإنما هي تتلقى هذه الفكرة أو المعرفة عن طريق الإلهام أو الوحي، غير أنها ليست متكوّنة بالنفثة نفسها. وبواسطة النفثة، التي تعتبر وسيط يمدّهُ الإله، تجد الروح نفسها وقد اتحدت بالاله، ومنه تجد النفثة وسيطاً به تتلقى الروح الأفكار والمعارف المشتركة، ومنه يرى "بريهييه" في هذا التوتر التعرّف على التعبير الرواقي، غير أنه في تعبير مختلف عنه (بريهييه، 1954، صفحة 186)

وعند "فيلون" أن الإلهام يختلف عن العقل الذي هو عنصر مكون للروح، غير أنه حالة يمكن أن تحدث وتختفي في الحين؛ لأنه طارئ عن الروح وليس جزء منها، وبسبب الإمداد الإلهي وخيريته تشعر كل روح بذاك الإلهام بدرجة ما، كما لا توجد روح ليس لها فكرة عن الله بواسطة الإلهام، لكن هذا يكون بدرجات متفاوتة، ويرى "فيلون" أن الإلهام يبدأ بالنفثة الخفيفة الذي لا استمرارية له بالنسبة للإنسان الأرضي، ثم إلى الروح المتوترة التي يتقبلها الإنسان المثال.

ومنه يرى "بريهييه" حسب "فيلون" أن الأرواح أو النفوس غير المادية هي وحدها لا تجد أيّ عائق في حلول الروح أو النفثة الإلهية على وجه ثابت ودائم، لذا يجب على تلك النفوس الاستعداد لذاك الإلهام، ويكون بهجر ملذّات وشهوات الدنيا العديدة، ونجرّد نفوسنا من كل حال متغيّرة، لنذهب أو نتواصل مع الله في تفكير متحرّر متجرّد.

تلك هي النفثة أو الروح الإلهية التي صارت وسيطاً بين الله والإنسان، ومنه يرى "بريهييه"أنه لا يمكن أن نقول أن الفلسفة الرواقية ليس لها بذور في تفكير "فيلون"؛ لأن الروح أو النفثة الإلهية يراها الرواقيون الحلوليون مشتقة من الجوهر العام للأشياء المشتركة بيننا جميعاً، وهي إلهية في تصورهم، وإذا جمعنا هذه الفكرة إلى تنزيه الله، نرى ضرورة وضع هذه النفثة أو الروح خارج الإنسان، وإلا مزجناه بالإله، كما أن نصوص التوراة التي استند إليها "فيلون" ليست كافية لولادة هذه النظرية، أي نظرية الروح بهذه الرؤية، لذا يعتبر بريهييه أن الفكرة عن الروح بهذا التصور مشتقة من التجربة الدينية الداخلية التي تحوِّل العقل، الذي كان يعدّه فلاسفة الإغريق استعدادا قاراً في النفس إلى حالة عارضة من حالاتها (بريهييه، 1954، صفحة 187)

هـ- القوات وهي كثيرة من ملائكة وجن نارية أو هوائية لا يعصون الله ولا يخالفون أمره (النشار و الشربيني ، 1972، صفحة 9)، ويعتبر "فيلون" أنّ الكائنات التي لا ترتكب الذنوب بحكم طبيعتها ليست في حاجة إلى أوامر أو نصائح؛ إذ أنها هي نفسها القانون غير المسطور. ولكن الكائن الوسط الذي يميل للخير والشر على السواء في حاجة إلى إله ينصحه، كما أنّ الشرير في حاجة إلى أوامر ونواه تعينه على تجنب الشر (بريهييه، 1954، صفحة 192)

إنّ هؤلاء الوسطاء يتوسطون أيضاً بين النفس الإنسانية والله، فتطهير النفس بالزهد والعبادة يصعد بها من وسيط إلى وسيط، حتى تبلغ الوسيط الأعظم، وهو اللوغوس أو الكلمة، ولا يتم التطهير والصعود والعودة إلى الله إلا بالمجاهدة والتصفية والنجاة بالنفس من هذا العالم المتناهي، عالم المادة والخيال.

وهدف الإنسان في هذه الدنيا هو الوصول إلى الله والإتحاد به والفناء فيه، وهذا الإتحاد لا يتم إلا في أعماق الروح، بنوع من التجدد الداخلي والإشراق النفسي والسكينة، وهي حالة لا تحدد بالألفاظ، وإنما تعرف بالذوق والكشف؛ وفيها لا يبقى شاهد ومشهود ولا عارف ومعروف، هناك السعادة الكبرى ما بعدها سعادة (مرحبا، 1983، الصفحات 175-1773)

وطبيعة الوسطاء في نصوص أخرى ما هم إلا وجهات مختلفة للعلّية الإلهية، وأنهم يختلفون في الذهن فقط، ويرمزون إلى آثار الله أو حالات النفس (كرم، 1977، صفحة 250). وفكرة الوسطاء قال بها أيضا الفيلسوف اليهودي "سليمان بن جبيرول" وأسندها إلى المشيئة الإلهية (العقاد، الصفحات 164-168)

5ـ صاحب التأويل الرمزي:

كان اليهود في الإسكندرية يؤولون التوراة تأويلاً رمزياً allègorie نظراً لتأثرهم بطريقة فلاسفة اليونان الفيثاغوريين والأفلاطونيين في تأويل قصص الأساطير وعبادة ديانات الأسرار، وكانت الشخصية الرئيسية لهذا التفسير هي الذات الإلهية، لذا كان استخدامهم للتفسير الرمزي مستمراً، وهذا الاستخدام ليس جديدًا ولا يقتصر على الأدب أو اللاهوت اليهودي؛ بل كان مستعملاً لقرون من السوريين واليونانيين. والغاية من ذلك البحث عن الإحساس السري للنصوص المقدسة، لذا فالكلمات المكتوبة ستكون رمزا للفكر، كي يكيّفها مع الذوق المنطقي للمسائل والقضايا المطروحة للنقاش والجدال في الوسط العلمي والفلسفي. كما كان الدافع من وراء مثل هذه الطريقة هو الرغبة في مواءمة الكتاب المقدس مع الأفكار الشائعة؛ كما استخدمها اليهود كدفاع عن إيمانهم من احتقار اليونانيين لهم (Jullien, p. 33). فكان "فيلون" واحداً منهم ينتهج هذا المبدأ في شرحه للتوراة، لما رأى أن هناك تعارضاً بين الحقائق الدينية اليهودية والحقائق الفلسفية اليونانية. فما هو السبيل للتخلص من ذلك التعارض بين الحقيقتين أو القضاء عليه؟ كذلك ما هو الطريق أو المنهج لبيان التشابه بينهما؟

يرى"فيلون" أن التخلص من ذلك التعارض يكون بسبيلين: أولاً: الاعتقاد بتأثير الديانة اليهودية على التفكير اليوناني. وثانياً: تفسير النصوص الدينية اليهودية تفسيراً رمزياً يتواءم مع الحقائق العقلية أو الفلسفة اليونانية، وهو ما نسميه التفسير الرمزي للنصوص الدينية. فمن الناحية الأولى: يعتبر "فيلون" أن

أصل كل تفكير كائناً من كان مرجعه أو منبعه فهو من الديانة اليهودية، فهي التي أثّرت في كل عقل إنساني، سواء كان ذاك العقل يوناني أو غيره، ولا يمكن أن نجد في أي عصر من العصور عقل إنساني لم يتأثر بهذه الديانة (بدوي، 1979، صفحة 91) ويضرب لذلك مثلاً بنظرية الأضداد التي قال بها "هيراقليطس" فقد أخذها من سفر التكوين، كما أن صورة الحكيم اليوناني التي رسمها فلاسفة اليونان هي نفس الصورة التي نجدها في قصة "أيوب" (بدوي، 1979، صفحة 92) وهو ما نجده من تأثر بعض فلاسفة اليونان بالتفكير اليهودي باستمرار ممثّلاً في النصوص الدينية، ولكي ينجح "فيلون" في مسعاه، ويبيّن أن الأفكار الدينية تتواجد بقوة في الفلسفة اليونانية، كان عليه أن يفسّر النصوص الدينية تفسيراً رمزياً، على أساس أن النصوص الدينية تحتوي على الأفكار الفلسفية اليونانية، وباتخاذه ذاك المنهج يستطيع "فيلون" بيان الحقيقة العقلية في تلك النصوص الدينية اليهودية، وهذا المنهج الخطير الذي خطّه "فيلون" عادة ما يستعمله رجال اللاهوت أو الشريعة في كل زمان ومكان، ليحل إشكال التعارض بين حرفية النص الديني وظاهريته مع التفكير العقلي، فيكون النص الديني بمثابة الجسم عنده، والمعنى التأويلي الرمزي بالروح، والإنسان له إمكانية الأخذ بواحدة منهما، غير أن "فيلون" يميل إلى الأخذ بالمعنى الثاني التأويلي الرمزي، والروح على حساب المعنى الظاهري الحرفي، وعلى الرغم مما في هذا المنهج من حرج إلا أن "فيلون" يستعمله في كثير من تفسيراته وكتاباته؛ لأنه مضطر لذلك باعتباره رجل صاحب تفكير حر، تهمه الحقيقة أين ما كانت ووجدت؛ ولأن الحقائق بين المدرسة الدينية اليهودية الظاهرية والمدرسة اليونانية الفلسفية التجريدية من تعارض واضح في النتائج، فهو لا يعتمد على تفسير أو تأويل الألفاظ بحسب اللغة التي كتبت بها، وإنما بتأويل الألفاظ بحسب لغات أخرى، حيث يفسر اشتقاق بعض الألفاظ العبرية عن طريق ألفاظ يونانية، على الرغم من عدم وجود صلة أو رابطة بين اللغتين من ناحية الإشتقاق مطلقاً" (بدوي، 1979، صفحة 92)

كما يذهب "فيلون" إلى حد اتخاذ الترجمة الخاطئة لبعض فصول التوراة أمر مشجع للسير في هذا المنهج، حيث الخطأ في الترجمة يساعده أكثر على تطبيق هذا المنهج؛ لأنه رأى أن الترجمة اليونانية للنص التوراتي هي الأصح من النص العبري الأصلي" (بدوي، 1979، صفحة 93). كذلك أوّلَ المقطع التالي من ((وَقَالَ اللهُ نَعْمَلْ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا...فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ.ذَكَراً وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ)) (سفر التكوين: الإصحاح الأول: 26-27). أوّلَها مثلاً: بأنّ الله خلق عقلاً خالصاً في عالم المثل هو الإنسان المعقول، ومرّة يقول عنه "فيلون" هو صورة الله، وفي اعتقاده أنّ الإنسان عالم مصغّر لا يوجد شيء أشبه بالله في العالم من العقل في المركّب الإنساني، وهذا الإنسان عند "فيلون" يسميه "إميل بريهييه" بالإنسان الإلهي (بريهييه، 1954، صفحة 169)، ثم صنع على مثال هذا العقل عقلاً أقرب إلى الأرض(هو آدم)، وهذا الإنسان(آدم) المصنوع يختلف كثيراً عن صورة الله؛ لأنّه

شديد الإحساس ويشارك في الصفة وهو مركّب من الجسم والروح ذكراً وأنثى وهو فان. أمّا الإنسان صورة الله هو فكرة أو نوع أو طابع معقول غير جسمي وليس ذكراً ولا أنثى وغير فاسد بطبيعته. وبهذا يصف الإنسان أقرب إلى الإنسان المثال (بريهييه، 1954، صفحة 169) وأعطى"آدم" الحس وهي "حواء" معونة ضرورية له، فطاوع العقل الحس وإنقاد للذّة–وهي الحية التي وسوسة لحواء–، فولدت النفس في لذتها الكبرياء هو "قابيل" وسائر الشرور، وانتفى منه الخير هو "هابيل" وماتت موتاً خلقياً (كرم، 1977، صفحة 248). ثم تأس النفس على ما فرطت في جنب ربها وتندم، فيظهر "نوح" الذي يرمز للعدالة، ويقع الطوفان رمزاً للتطهير العام (مرحبا، 1983، صفحة 222)

ويؤول عبور البحر الأحمر بأنّه رمز لخروج النفس من الحياة الحسية، وسبعة أغصان الشمعدان، بأنها رمز للسيارات السبع، والحجَران الكريمان اللذان يحملهما الكاهن الأكبر، بأنهما رمز للشمس والقمر أو لنصفي الكرة الأرضية، والآباء الذين يعود إليهم إبراهيم؛ بأنهم رمز للكواكب، أو للعناصر الأربعة، أو للمثل، والفصح بأنّه رمز لأهم الفضائل وهي الطيبة، واقتران "إبراهيم" بـ"سارة" بأنه رمز لاتحاد الإنسان الصالح بالفضيلة (كرم، 1977، صفحة 248). كما يذهب في تفسيراته لأسماء بني إسرائيل بأنّ "إبراهيم" يرمز إلى العلم، و"إسحاق" يرمز إلى الطبيعة و"يعقوب" يرمز إلى الزهد، ويعلن في إصرار أنّ الأسماء الثلاثة لا تعني أبداً أنبياء بني إسرائيل، وإنما هي المصادر الثلاثة لمعرفتنا بالله (النشار و الشربيني ، 1972، صفحة 9) وغير ذلك من التأويلات.

وكان "فيلون" يصطنع الرمز العددي المأثور عن الفيثاغورية القديمة والجديدة، فيقول مثلاً: أنّ الواحد غير منقسم، فهو صورة العلة الأولى، وموجد النفس والحياة، وأنّ الاثنين منقسم، فهو مبدأ الشقاق وأخو الشر. واتجاهه العام في شرحه للتوراة هو وضع المعنى الخُلُقِي بإزاء المعنى الحرفي، أو نقل الثاني إلى الأول أحياناً: فيرى في الطقوس الدينية علامات على الشروط الخُلُقِية اللازمة للعبادة، وفي تحريم الحيوانات النجسة وجوب قمع الشهوات الرديئة. ومثل هذا النقل ينزع عن الشريعة التوراتية صفتها الظاهرية، ويحولها إلى قانون باطن. ونقل الوعود الإلهية الواردة في التوراة بخيرات دنيوية ومستقبل سعيد لشعب بني إسرائيل إلى وعود بخيرات روحية للنفس الصالحة وبسيادة الشريعة على العالم، حتى التئام شمل اليهود في بلد واحد بعد توبتهم، ويؤوله بمعنى اجتماع الفضائل في النفس وتناسقها بعد ما تحدثه الرذيلة من تشتت (كرم، 1977، صفحة 249)

إنّ أحبار اليهود لم يكونوا راضين عن شروحات "فيلون" المجازية للكتاب المقدس، لاعتقادهم أنّ هذه الشروحات قد تتخذ حجة لنبذ الطاعة الحرفية للشريعة؛ لذا كان تأثير "فيلون" في الأوساط اليهودية منخفضًا إلى حد ما، إلا بين الصوفيين. كان السبب بلا شك نظريته عن الوسطاء، وميله إلى الزهد الذي

يعتبر خطيراً من قبل السلطات الدينية. وقد ثبت ذلك أيضًا من خلال الإحسان الذي أظهره له بعد ذلك آباء الكنيسة (Jullien, p. 38)، حيث أعجبوا بورع هذا الرجل اليهودي، وكثيرا ما كانوا يلجؤون إلى آرائه وتعبيراته المجازية ليردوا بها على من يتصدون لنقد التوراة العبرية (ديورانت، 1964، صفحة 105)

إنّ أهم أثر لـ"فيلون" أنّه كان يعتقد أنّ في التوراة أفكاراً فلسفية لا تقل سمواً عن التفكير الفلسفي عند اليونان، وكل ما يجب للوصول إلى هذه الأفكار هو استخلاصه من نصوص التوراة بطريق التأويل والمجاز، وقد سار على منواله الفيلسوف الأندلسي "موسى بن ميمونMaimonide" (التكريتي، 1982، صفحة 186)

ويرى "علي سامي النشار. ت1980م" و"زميله عباس أحمد الشربيني" أن "فيلون" ذهب إلى أبعد حد في التفسير الرمزي حيث تكاد تنقطع صلته بالتوراة، لما يقرّر أنّ كل تشبيه ورد فيها إنما يجب أن يؤول (النشار و الشربيني ، 1972، صفحة 9). خلافاً لـ"يوسف كرم" الذي يرى أنّ "فيلون" يقف عند ذاك الحد من التأويل ويقبل المعنى الحرفي، لإيمانه القوي بالله وشريعته وبالتقاليد اليهودية (كرم، 1977، صفحة 249)

وهذه الطريقة في التأويل الرمزي كانت منتشرة كثيراً في عصر "فيلون"، ولم تكن جديدة ولعلها ترجع إلى الأسرار الأورفية، حيث استعملت في شرح أشعار "هوميروس"وتأويلها تأويلاً لا يجعل صاحبها أرسطاليسياً وأبيقورياً ورواقياً في آن واحد. وعرفت تلك الطريقة أيضاً بين الرواقيين حيث لجأوا إليها في تفسير الأساطير اليونانية وعبادة الآلهة في الديانة الشعبية. وكان "نومينيوسNumenius"من أهل "أباميياApamea"، قد عرفت تعاليمه مما ورد من كلامه في "يوسيبيوسEusebius"، كان "نومينيوس" أوّل فيلسوف يوناني يبدي تقديراً واحتراماً للديانة اليهودية. ويصف أفلاطون بأنّه أشبه بموسى يتكلم بلهجة أتيكا (مرحبا، 1983، صفحة 222)

إنّ "فيلون" يرى أنّ التأويل ممكن شرط أن نعرف كيف؟ وماذا نؤول من نصوص التوراة في ضوء الفلسفة؟، حيث يجب تأويل النصوص التوراتية التي تثبت لله–إذا أخذت حرفياً–ما لا يليق به من الصفات والأحوال: كالتجسيم، والكون في مكانه، والكلام بصوت وحروف، والغضب والندم... فالله كما يعتقد "فيلون" لا يستفزه الغضب ولا الندم ولا يتكلم بأصوات وحروف، وليس له من مكان يقرُّ فيه. وعندما يعرض "فيلون" لقصة خلق الله للعالم في ستة أيام ينفي عن الله الحاجة إلى مدة من الزمن يخلق فيها العالم، فمن السذاجة الاعتقاد أن العالم خُلق فعلاً في ستة أيام أو في فترة من الزمن أقل أو أكثر (مرحبا، 1983، الصفحات 221–222)

لقد كان لمذهب "فيلون" أثراً كبيراً وذلك في أحداث ثورة دينية لليهود. وفي القرون الأولى للميلاد استخدم نفر من المفكرين المسيحيين كتبه لمعرفة الفلسفة اليونانية، وقلّد بعضهم منهجه في شرح الكتاب المقدس، وأحجم أناس عن كل تأويل وتفسير حفاظاً على التراث القديم.

وبعد مرور عهود طويلة جداً عن زمن "فيلون" لم يستقرّ الأمر لليهود الفلاسفة بتمرير تفسيراتهم وتأويلاتهم الباطنية على العامة من اليهود، حيث بقى بين اليهود من ينكر ذلك النوع من التأويلات حتى قبل الإسلام وقبل المسيحية، وانتهى الخلاف إلى انشقاق حاسم بين القرائين وهم الملتزمون بحرفية النصوص وبين الربانيين الذين يجيزون التأويل والتوفيق بين مذاهب الحكمة والفلسفة. ولم يحصل هذا الخلاف إلا بعد تسعة قرون من عصر "فيلون"؛ أي بعد انتشار الفلسفة الإسلامية (العقاد، صفحة 168). حيث أصبح الاعتقاد سائداً أنّ الكتب السماوية إنما تخاطب الناس جميعاً، العامة منهم والخاصة، ولذا فهي تلجأ إلى الرموز واستعمال المجاز ستراً للحقيقة لغير أهلها، لقصورهم على فهمها.

إذن فالتأويل أمر ضروري؛ لأن استعمال الأمثلة والصور والرموز تقرب الحقائق إلى أفهام الناس، فيأخذ العامة بظاهر النصوص ويجدون فيها الكفاية في فهمها، وأمّا الخاصة فيأخذون بجوهر معانيها وبذلك يستخرجون ما في التوراة من فلسفة كانت ستظهر عارية منها لو أخذت بنصوصها حرفياً (مرحبا، 1983، صفحة 224)

6ـ غاية فيلون من تفسيراته الباطنية:(التوفيق بين الفلسفة والدين):

تأتي أهمية "فيلون" في نظر المؤرخين والفلاسفة في محاولته للتوفيق بين محتوى كتاب التوراة المبني على الوحي الالهي والايمان بالله الخالق الذي يهتم بالإنسان من جهة، والفلسفة الميتافيزيقية مثل: نظرية المثل لـ"افلاطون" من جهة أخرى، وأن الآراء الفلسفية وطريقة طرحها والمنهج الفلسفي الذي اعتمد كلها مستوحاة من الكتاب المقدس، ويحاول أن يثبت أن الفلسفة اليونانية تعتمد كلياً على قوانين موسى والأنبياء (Jullien, p. 37). كذلك يعتبر أحد المصادر المهمة في التفسير اللاهوتي للديانة اليهودية والمسيحية في القرون الأولى من المسيحية حيث كان له إنتاجاً غزيراً.

كان قبله من بني جنسه الفيلسوف "أريستوبولس" وهما أشهر من عني بالتوفيق بين الفلسفة والدين. وإن كان "فيلون" أكثر شهرة وعمقاً في دراسته لنصوص التوراة وتأثره بنصوصها وحكمها من "أريستوبولس"، فقد عرف أيضاً بعشقه وتضلعه في الفلسفة اليونانية على اختلاف مصادرها وخصوصاً "الأفلاطونيةPlatonicien" ومدارسها، حتى أنه كان يلقب بـ"فيلون الأفلاطوني" أو "أفلاطون اليهود"

بالإضافة إلى اطلاعه على الأفكار الشرقية المحيطة به (التكريتي، 1982، صفحة 185). وكان فيلسوفاً أكثر منه رجل دين، وكتب باللغة العبرية بأسلوب بسيط ومفهوم؛ غير أنّ كتابته باللغة اليونانية أكثر بلاغة وجودة، مما حدا ببعض المعجبين به أن يقولوا: «إنّ"أفلاطون" كان يكتب كما يكتب "فيلو"» (ديورانت، 1964، صفحة 103) ولئن كان معجباً بفلسفة "أفلاطون"؛ فإنّ إيمانه بشريعة "موسى" كان لنفسه أميل، وأنّ موسى" كان هو الفيلسوف الأول وبأنّ فكر "موسى" يعطي كل الحقائق، وبأنّ"موسى" لم يكن فقط أعلى من كل الأنبياء ومن كل الفلاسفة ولكنه كان الملهم والسيد، وهذا كان صحيحاً فيما يخص الأخلاق والبحث عن الحقيقة (Israël, 1999, p. 125). ويرى أنّ الحقيقة كلها موجودة في التوراة؛ غير أنّ"أفلاطون" توصل إليها أيضاً بنوع من الوحي، كما يرى أنّ الفلسفة اليونانية والشريعة الموسوية لا تتعارضان، وهما تعبران عن حقيقة واحدة لكن لكل منهما طريقتها (مرحبا، 1983، صفحة 220). وكان يرى أنّ"أفلاطون" و"أرسطو" أخذا فلسفتهما من "موسى" والتوراة. ويعتبر "فيلون" هو المسؤول عن خلط التعاليم الفلسفية بالوحي والإلهام الشرقي (أمين، 1966، صفحة 228)

ومحاولات التوفيق بين الدين والفلسفة كانت تسير على قدم وساق في القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده. وعندما ظهر "فيلون" تابع آراء من سبقه ومن عاصره من الفلاسفة في هذا الجانب، إلا أنه لم يستطع أن يخلصها من شوائبها ويجعلها في نظام موحّد، وتوصل بأسلوبه الرمزي إلى وضع نظرية فلسفية يشرح بها عقيدته في الإلوهية وصلتها بالوجود (مرحبا، 1983، صفحة 224). وحسب "ويليام ديورانت"أيضاً فإنّ "فيلون" حاول أن يوفّق بين اليهودية والفلسفة الهلينية؛ فمن الوجهة اليهودية أخفق في مسعاه، ومن الوجهة التاريخية قد أفلح، وكانت ثمرة نجاحه هي الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا (ديورانت، 1964، صفحة 105)

لقد كان هدف "فيلون" في حياته أن يوفق بين الكتاب المقدس وعادات اليهود من جهة والأفكار اليونانية، وخاصة الفلسفة "الأفلاطونية" من جهة أخرى، ولكي يصل إلى ذاك الهدف لجأ إلى المبدأ القائل: إنّ جميع الحادثات والأخلاق والعقائد والشرائع المنصوص عليها في الكتاب المقدس (العهد القديم لدى المسيحيين) ذات معنيين: أحدهما: مجازي. والآخر: حرفي. وأن تلك الحادثات وغيرها ترمز إلى حقائق أخلاقية أو فلسفية (ديورانت، 1964، صفحة 103)

7ـ خاتمة:

لقد ألمّ "فيلون الإسكندري" بالفكر الفلسفي اليوناني أيام الرومان، وهذا دلالة إلى أن اليهود على الرغم من انغلاقهم في أحياء خاصة بهم عبر تاريخهم بين الشعوب الغالبة إلا أنهم أحياناً يظهر من بينهم من يرفض تلك الجدران المحصنة بتعاليم روحية تحرّم على اليهودي التواصل مع غير اليهودي، لذا كان فيلون أحد اليهود الذين استطاعوا فك القيود النفسية والفكرية والدينية التي حجّرت عليه بسور من تلك التعاليم الدينية، على الرغم من مركزه الديني والاجتماعي والسياسي الذي يحتم عليه الانصراف إلى خدمة أبناء ملته في تلك المجالات، غير أنه استطاع أن يلج مجال الفلسفة اليونانية ومدارسها ليأخذ منها ما يزيل عليه غوامض التوراة باستعمال مصطلحات فلسفية من شتى المدارس الفلسفية وعظماء الفلاسفة اليونانيين. ومنه نستخلص النتائج التالية، وهي:

1- بسبب فهم فيلون العميق للفكر الفلسفي اليوناني، رأى أن كل ما طرحه الفلاسفة اليونان في كثير من المسائل الميتافيزيقية والفيزيقية، لا يختلف كثيراً عما وجد في أسفار موسى.

2- لقد استطاع أن يصل إلى المواءمة بين الفكر الفلسفي اليوناني، والفكر الديني اليهودي، المتمثّل في التوراة، وبسبب مجهوده الفكري القائم على المقارنة سعى للتوفيق بين الفكرين، حيث توصل أن كلا الفكرين لا يتعارضان؛ لأن كليهما ينشدان الحقيقة وإرشاد الإنسان إليها، غير أن طريق الفلسفة هو الفكر العقلي المجرد إحياناً، أما الفكر الديني طريقه الوحي والكشف والإلهام الروحي، لذا كان هدفه التوفيق بينهما، وبيان أنهما لا يتعارضان مطلقاً، على الرغم من اختلاف منطلقاتهما البحثية والمعاني الرمزية وباستعمال آليات فكرية تقرب المعنى الذي تريد أن توصله التوراة للعالم والعارف بألغازها وغوامضها.

3- إن فيلون وفق في استعمال آلية التأويل الرمزي أن يفك المعاني المبهمة التي وجدت كثيراً في نصوص التوراة من القصص أو غيره، وبهذا فقد استطاع أن يصل إلى معاني النصوص الحقيقية التي يصعب على الإنسان البسيط فهمها وإدراكها، ومنه يكون العارف والعالم قد فهم معانيها ومغزاها باستعمال تلك الآلية الفكرية.

4- توصّلنا من هذا البحث إلى أن فلسفة اليونان-في نظر فيلون- ماهي إلا تكرار لما وجد في أسفار موسى من حقائق كونية أو فلسفية، ومنه فإن اليونان في نظره ليسوا أسبق من اليهود، لذا كان رأيه

الفلسفي أن الفكر الديني اليهودي المتمثّل في أسفار موسى أسبق من الفكر الفلسفي اليوناني، ومنه فقد يكون الفلاسفة اليونان هم الذين أخذوه عن اليهود من خلال كهنتهم وعلمائهم.

8ـ قائمة المراجع

1- المصادر:

- الكتاب المقدس.

2- المراجع:

2-1- العربية:

- أحمد أمين. (1966). *قصة الفلسفة اليونانية*. القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- عباس محمود العقاد. (بلا تاريخ). *الله*. بيروت: المكتبة العصرية.
- عبد الرحمان بدوي. (1979). *خريف الفكر اليوناني*. القاهرة: شركة الطباعة الفنية.
- عبد الرحمان مرحبا. (1983). *من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، الجزائري*. بيروت: ديوان المطبوعات الجامعية ،منشورات عويدات.
- علي سامي النشار، و عباس أحمد الشربيني . (1972). *الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية*. الإسكندرية: الناشر منشأة المعارف.
- علي سامي النشار ، و عباس أحمد الشربيني . (1972). *الفكر اليهودي وتأثره بالفلسفة الإسلامية*. الإسكندرية: الناشر منشأة المعارف.
- علي سامي النشار، و عباس أحمد الشربيني. (1970). *المأدبة أو في الحب الإلهي*. القاهرة: دار الكتب الجامعية.
- ناجي التكريتي. (1982). *الفلسفة الأخلاقية الأفلاطونية عند مفكري الإسلام*. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
- يوسف كرم. (1977). *تاريخ الفلسفة اليونانية*. بيروت: دار القلم.

2-2- المترجمة إلى العربية:

- إميل بريهييه. (1954). *الآراء الدينية والفلسفية لفيلون الإسكندري*. (محمد يوسف موسى، و عبد الحليم النجّار، المترجمون) مصر: شركة مكتبة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.
- ويليام ديورانت. (1964). *قصة الحضارة*. (محمد زيدان، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دار الجيل.

- برتراند رسل. (2009). *حكمة الغرب*. (فؤاد زكريا، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب (عالم المعرفة).

2-3- الفرنسية:

- Dugat, G. (1868). *hustoire des Orientalistes de l' Erobe, maisonneuve et Cie.* 15quai Voltaire15,Paris, Tome1: librairie Éditeurs.
- Eliade, M., & Couliano, L. (1997). *Dictionnaire des Religions.* Paris: Édition Plon.
- Israël, G. (1999). *La question chrétienne.* Paris: Édition Payot & Rivages.
- Jullien, l. (s.d.). *les Juifs d'alexandrie dans l'intiqué.* Alexandrie: aux Éditions ou scarabée (Maison Françai- d'Impressions et d'Éditions).
- Munk, S. (1988). *Mélanges de Philosophie Juive et arabe.* Paris: librairie Philosophique.J. vin.
- Soulier, H. (1876). *La doctrine du logos chez Philon d'alexandrie.* turinviucent bona Imprimeur de S.
- sources chretiennes. (2019, 01 22). *https://sources chretiennes.org*. Récupéré sur Sources Chrétienne: https://sources chretiennes.org
- Unterman, A. (1997). *Dictionnaire du Judaïsme.* Paris: Édition Thames et Hudson.